مجموعة نقشجم العلميّة
إصدارة رقم (٥٧)

مجالي الوصول

لمراقي الوصول إلى معاني الرسول

تأليف
السيد عبد الله الميرغني المحجوب

مجالي الوصول

لمراقي الوصول إلى معاني الرسول

تأليف

السيد عبد اللَّه الميرغني المحجوب

شوال ١٤٤٤هـ - مايو ٢٠٢٣م

يمكنكم مراسلتنا، عبر البريد الإلكتروني: ngshjm@yahoo.com

أو عبر صفحة مجموعة نقشجم العلمية، على الفيسبوك: facebook.com/ngshjm

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصِيدَةُ "مَرَاقِي الْوُصُولِ إِلَى مَعَالِي الرَّسُولِ" "الْوَصِيَّةُ"

الحَمْدُ للَّهِ الْعَظِيمِ الشَّأْنِ ... وَالشُّكْرُ لِلمَوْلَى عَلَى الإِحْسَانِ
ثُمَّ الصَّلَاَةُ صَحِبَهَا السُّلَّامُ ... عَلَى نَبِيٍّ دِينُهُ الإِسْلَاَمُ
وَبَعْدُ ذَا فَهَذِهِ وَصِيَّةْ ... لَطِيفَةٌ ظَرِيفَةٌ وَفِيَّةْ
أَوْصَى بِهَا الفَقِيرُ وَالغَنِيُّ ... ذُو الذَّنْبِ عَبْدُ اللَّهِ مِيرْغَنِيُّ
سِبْطُ الرَّسُولِ الهَاشِمِيّ الأَبْطَحِيْ ... صَلَّى عَلَيْهِ الْحَيُّ مَا مَيْتٌ مُحِي
اللَّهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ قَيُّومُ ... بَاقٍ قَدِيمٌ ثَابِتٌ مَعْلُومُ
حَيٌّ سَمِيعٌ مُبْصِرٌ مُرِيدُ ... مُتَكَلِّمٌ وَقَادِرٌ شَهِيدُ
خَلَّاقُ كُلِّ مَا سِوَاهُ لَا امْتِرَا ... فَعَّالُ كُلِّ أَمْرِهِ بِلَا مِرَا
أَرْسَلَ خَيْرَ الخَلْقِ طَهَ المُصْطَفَى ... لِكُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ نَبَّا الشُّرَفَا
حَلَّاهُمُ بِأَكْمَلِ الكَمَالِ ... وَقَدَّسَ الكُلَّ عَنِ المُحَالِ
وَاخْتَارَ أَصْحَابًا وَآلاً شُرَفَا ... ثُمَّ أُولِي عِلْمٍ وَفَضْلٍ وَوَفَا
وَافْتَرَضَ الإِسْلَامَ بِالإِيمَانِ ... بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَبَيَّنَ الحَلَاَلَ وَالحَرَامَا ... وَكُلَّ فَرْضٍ قَدْ أَتَى حَرَامَا
وَشَرَعَ الشَّرْعَ القَوِيمَ المُرْتَضَى ... وَحَقَّقَ الحَقَّ الحَقِيقَ بِالرِّضَا
وَهَا هُمَا شَيْئَانِ وَهُوَ وَاحِدُ ... مَا ثَمَّ مَثْنَى فَالمُثَنَّى فَاسِدُ

وَاسْلُكْ قَوِيمَ الشَّرْعِ وَالطَّرِيقَةْ تَنَلْ مَعَانِي أَشْرَفِ الحَقِيقَةْ
لَا خَيْرَ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ مَنْ لَمْ يُتَابِعْهُ فَذَاكَ البِدْعِي
فَكُنْ لَهُ تِلْوًا عَلَى الدَّوَامِ تَفُزْ بِقُرْبِ المُصْطَفَى الإِمَامِ
وَتَشْهَدِ الحَقَّ عَلَى الحَقِيقَةْ وَتَرْتَقِي مَرَاقِي الطَّرِيقَةْ
لَكِنْ أَسَاسُ الأَمْرِ ثُمَّ الرَّاسُ الصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالأَنْفَاسُ
وَاجْهَدْ وَجَاهِدْ صَاحِ فَالمُجَاهَدَةْ مُثْمِرَةٌ لِلوَصْلِ وَالمُشَاهَدَةْ
وَاحْذَرْ مِنَ الزَّمَانِ وَالإِخْوَانِ وَالْزَمْ أَخِلَاءَ مَعْشَرِ الدَّيَّانِ
وَكُنْ تَقِيًّا سَمِحًا سَخِيًّا وَصَافِي السِّرَّ وَكُنْ زَكِيّا
وانْوِ بِكُلِّ الكَائِنَاتِ خَيْرَا وَكُفَّ شَرًّا وَأَذًى وَضَيْرَا
وَاجْعَلْ مَحَطَّ الرَّحْلِ وَالمَقَاصِدِ حَظِيرَةَ القُدْسِ وَعَيْنَ المُشَاهَدِ
وَاشْهَدْ إِلَهًا عَمَّمَ الوُجُودَا وَلَا تَرَى لِغَيْرِهِ وُجُودَا
فَاشْتَقْ لَهُ يَا صَاحِ فِي الأَنْفَاسِ وَاطْرَحْ لِذِي الأَخْمَاسِ وَالأَسْدَاسِ
وَلَازِمِ الذِّكْرَ مَعَ المَذْكُورِ وَغِبْ عَنِ الجِنَانِ وَالقُصُورِ
وَلَمْ تَصِلْ لِهَذِهِ المَعَانِي إِلَّا بِشَيْخٍ كَامِلٍ مُعَانِي
مُهَذَّبٍ بِظَاهِرٍ وَبَاطِنْ مُؤَدَّبِ التَّحْرِيكِ وَالسَّوَاكِنْ
وَذَا بِذَيَّاكَ الزَّمَانِ الأَنْوَرِ أَعَزُّ مِنْ كِبْرِيتِ سِرٍّ أَحْمَرِ
فَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الأَغْبَرِ يَنَالُهُ مُخَالِطٌ وَمُفْتَرِي

لَكِنْ جَرَتْ عَادَاتُ رَبٍّ قَادِرٍ   بِالصِّدْقِ يَحْظَى صَاغِرٌ بِكَابِرِ

بَلَى لَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُطْلَقًا   مَوْلَى الشُّيُوخِ أَحْمَدُ حَاوِي التُّقَى

فَالْزَمْهُ مَهْمَا رُمْتَ لِلْوُصُولِ   فَإِنَّ فِيهِ غَايَةَ المَأْمُولِ

وَبَعْدَ هَذَا فَاسْتَقِمْ لِلْمَوْتِ   وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيطِ ثُمَّ الفَوْتِ

وَاسْأَلْ دَوَامًا رَبَّكَ السَّلَامَةْ   مِنَ الوَبَا وَالخِزْيِ وَالنَّدَامَةْ

وَقُلْ إِلَهِي مِسْكُكَ الخِتَامُ   ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ وَالسَّلَامُ

عَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى مُحَمَّدٍ   وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالمُهْتَدِي

مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ سَرَى نَسِيمُ   أَوْ غَنَّتِ الوُرْقُ وَحَنَّ رِيمُ

أَوْ مَا تَوَاصَوْا صَبْرَهُمْ وَالمَرْحَمَةْ   أَوْ مَا عَفَى الغَفَّارُ كَمْ مِنْ مَظْلَمَةْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافيء مزيده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا رسول الله محمد بن عدنان، وعلى الآل والأصحاب والأنصار والأتباع والأحزاب.

وبعدُ، فهذه تعليقة وجيزة، على أرجوزتي اللطيفة العزيزة، التي ختمت بها ديواني الثاني المُسمَّى بـ"العقد المنظم على حروف المعجم"، المُسماة بمقتضى الإلهام الذي [هو] عمدة أهل الوصول "مراقي الوصول إلى معاني الرسول"، فأقولُ وبحول الله أصول:

قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾[١]، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[٢]. وفي الحديث: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا تَقْبِضْ أَمَانَةً، وَلَا تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ»[٣]. والأحاديث والآيات فيه كثيرة، وأفعال السلف والخلف لا يحيط بها غرف، ومنها هذه الوصية التي أجرأها الله على لسان الذات المرغنية، جعلها الله نافعة شافعة ومانعة جماعة.

---

(١) سورة النساء: الآية ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣١.

(٣) رواه أحمد في "مسنده".

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الكلام على البسملة مشهور، وأحسنه ما في كتابي "كنز الفوائد" مزبور، وكذلك على الحمد والشكر والصلاة.

الحَمْـــدُ للَّهِ الْعَظِـــيمِ الشَّـــأْنِ وَالشُّكْرُ لِلمَـوْلَى عَلَى الإِحْسَـانِ

﴿الحَمْدُ﴾: مطلقًا قديم لقديم، ومنه لحادث، ومنه لمثله، والقديم لغوي أو اصطلاحي على النعم أو المنعم وهو أعلاه. ﴿للَّهِ﴾ أي لذات واجب الوجود. ﴿الْعَظِيمِ﴾ الكبير ﴿الشَّأْنِ﴾ الأمر. ﴿وَالشُّكْرُ لِلمَوْلَى﴾ السيد والعبد، وورد: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[٤]. ﴿عَلَى الإِحْسَانِ﴾ بنعمتي الإيجاد والإمداد حسًّا ومعنًى ظاهرًا وباطنًا على المحسن به والمحسن وهو أشرفه، والمراد الجميع سيما مقام الإحسان بقيومه.

ثُـمَّ الصَّـلَاَةُ صَـحِبَهَا السُّـلَّامُ عَلَى نَـــبِيٍّ دِينُـــهُ الإِسْـــلَامُ

﴿ثُمَّ الصَّلَاَةُ﴾ أي أخص الرحمات، ﴿صَحِبَهَا﴾ مصاحبها ﴿السُّلَّامُ﴾ أي أشرف [تحية][٥] ﴿عَلَى نَبِيٍّ﴾ من أُوحي إليه بشرع. ﴿دِينُهُ﴾ وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات.

---

(٤) رواه البخاري في "الأدب المفرد". وأحمد في "مسنده". وأبو حنيفة في "مسنده". وأبو داود الطيالسي في "مسنده". وأبو داود في "سننه". والترمذي. وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "المعجم الكبير". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه" و"الشعب". والخطيب في "تاريخه".

(٥) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

(الإِسْلَامُ) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾(٦). ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(٧).

وَبَعْـــدُ ذَا فَهَـــذِهِ وَصِـــيَّةْ   لَطِيفَـــةٌ ظَرِيفَـــةٌ وَفِيَّـــةْ

(وَبَعْدُ ذَا) المذكور من البسملة والحمد والصلاة. (فَهَذِهِ) إشارة إلى ما في الذهن. (وَصِيَّةْ) أي عهد عهدته لي وإخواني. (لَطِيفَةٌ) صغير حجمها. (ظَرِيفَةٌ) شريف علمها. (وَفِيَّةْ) كاملة المقاصد.

أَوْصَى بِهَـا الفَقِـيرُ وَالغَـنِيُّ   ذُو الذَّنْـبِ عَبْـدُ اللَّهِ مِيرْغَـنِيُّ

(أَوْصَى) عَهِدَ (بِهَا الفَقِيرُ) إلى الله (وَالغَنِيُّ) بالله. (ذُو الذَّنْبِ) صاحب كل ذنب نعوت للمُوصي. (عَبْدُ اللَّهِ) اسمه وهو أشرف أسماء العبيد، لما ورد: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»(٨). وورد: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا تُعُبِّدَ لَهُ»(٩). وعنه قيل:

لا تـدعني إلا بيـا عبـدها   فإنـه أشـرف أسـمائيا

حقّقه الله وجعله من حزبه. (مِرْغَنِيٌّ) لقبه وأصله أمير غني، فحذفت الهمزة والياء للخفة، والأمير بلغة الأعاجم: السيد الشريف، وأصل اللقب لثالث جد له، لُقّب به لفرط كرمه.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٨) رواه البخاري في "الأدب المفرد". وابن أبي شيبة في "مصنفه". وأبو داود في "سننه". والترمذي في "سننه". وابن ماجه في "سننه". والدارمي في "مسنده". وأبو يعلى في "مسنده". والطبراني في "المعجم الكبير". والخطيب في "تاريخه".

(٩) قال السيوطي في "الجامع الكبير": أخرجه الشيرازي في "الألقاب" والطبراني.

سِبْطُ الرَّسُولِ الهَاشِمِيّ الأَبْطَحِي   صَلَّى عَلَيْهِ الْحَيُّ مَا مَيْتٌ مُحِي

(سِبْطُ) بالكسر ولد الولد. (الرَّسُولِ) من أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. (ال) للعهد. (الْهَاشِمِيّ) نسبة لهاشم بن عبد مناف. (الأَبْطَحِيْ) نسبة إلى الأبطح أي المكي لكثرة بطحائها. (صَلَّى عَلَيْهِ الْحَيُّ) أي أفاض عليه أخص رحمته، والحي الله أو كل حي. (مَا مَيْتٌ) بسكون الياء من مات وبلي كالميِّت بتشديدها، أو المشدد هو من لم يمت بعد. (مُحِي) نعته أي محو كل ميت، وهذا من الأزل إلى الأبد، إذا الأكوان ما شمت رائحة الوجود، «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ»[١٠] «وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ»[١١]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١٢].

اللَّهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ قَيُّومُ   بَاقٍ قَدِيمٌ ثَابِتٌ مَعْلُومُ

(اللَّهُ) علم لذاته تعالى المتصفة بصفتَيْ الكمال من الجلال والجمال. (فَرْدٌ وَاحِدٌ) بمعنى وهذا شروع في الإيصاء بالتوحيد ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، ففي الجلالة توحيد الذات، وما بعدها صفات السلب الخمسة فأولها كونه تعالى فرد، أي لا ثاني له. (قَيُّومُ) قائم بنفسه لا بعلة ولا مخصص، أي غير مفتقر لغيره، وهذا ثانيها.

(١٠) هو جزء من حديث رواه البخاري.
(١١) قال العجلوني في "كشف الخفاء": ذكر ابن العربي في "الفتوحات" أنها مدرجة في الخبر.
(١٢) سورة الرحمن: الآية ٢٦.

وثالثها (بَاقٍ) لا يلحقه عدم. (قَدِيمٌ) لم يسبقه العدم، أي لا أول له ولا آخر، بل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٣]. (ثَابِتٌ) هذه صفة نفس معترضة بين الخمس وهي الوجود، وعبَّر عنها بثابت لأن له الثبوت، وهذا وإن لم يرد الوصف به فجائز على قول بعض المحققين، وهل الوجود عين الذات أم غيرها؟، خلاف ليس هذا محله. (مَعْلُومُ) بأنه الموجود الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٤]. وهذه الخامسة المعبر عنها بمخالفة الحواداث.

ولما فرغ منها شرع في توحيد الصفات المعنويَّة الملتزمة لتوحيد صفات المعاني، الجامع لها هذا البيت وهو قوله:

حَيٌّ سَمِيعٌ مُبْصِرٌ مُرِيدُ ... مُتَكَلِّمٌ وَقَادِرٌ شَهِيدُ

(حَيٌّ) بحياة، هي صفة قديمة قائمة بذاته، تقتضي صحة العلم والقدرة، وهي في حقنا كيفية من شأنها الإحساس غير المتعلقة بشيء. (سَمِيعٌ) بسمع، هو صفة قديمة قائمة به، متعلقة بالمسموعات أو الموجودات. (مُبْصِرٌ) ببصر، هو صفة قديمة قائمة به تعالى، منوطة بالمبصرات أو الموجودات. (مُرِيدُ) بإرادة قديمة قائمة بذاته تعالى، مخصصة أحد المقدروين، منوطة بالمقدور.

(١٣) سورة الحديد: الآية ٣.

(١٤) سورة الشورى: الآية ١١.

(مُتَكَلِّمٌ) بكلام نفسي، هو صفة قائمة به منزه عن السكوت، منوطة بالأحكام الثلاثة. (وَقَادِرٌ) بقدرة أزلية قائمة به، بها يتأتى إيجاد كل ممكن وعدمه، منوطة بالممكنات. (شَهِيدُ) أي عليم بعلم أزلي قائم به تعالى، ينكشف به كل معلوم إحاطة، منوط بحكم العقل.

وهذه الصفات السبع المشتقة معنوية، وما اشتقت منه معاني، جمع معنى قائم به، وجمع معنوي منسوب لما أشتق منه. وكلها واجبة له تعالى نقلاً وعقلاً.

قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾[١٥]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٦]، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١٧]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[١٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٩]، ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢٠]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢١]. إلى غير ذلك من الكتاب والسُّنة.

وأما العقل: فغير الحي لا يوجد شيئًا، وهو مُوجد الأشياء قطعًا، وذاك لا يكون إلا متصفًا بكل هذه الصفات، وإلا لأختل النظام، ولا بدى تام، مع أنها نعوت كمال، فالأولى بها ذو الجلال.

(١٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(١٦) سورة الشورى: الآية ١١.
(١٧) سورة هود: الآية ١٠٧.
(١٨) سورة النساء: الآية ١٦٤.
(١٩) سورة البقرة: الآية ٢٠.
(٢٠) سورة النساء: الآية ٣٣.
(٢١) سورة الحديد: الآية ٣.

خَــلَّاقُ كُلِّ مَــا سِــوَاهُ لَا امْــتِرَا   فَعَّــالُ كُلِّ أَمْــرِهِ بِــلَا مِــرَا

﴿خَلَّاقُ كُلِّ مَا سِوَاهُ﴾ أي مبدع كل ممكن غيره، أي مبديه ومنشيه بالإيجاد والإمداد على ممر الآباد. ﴿لَا امْتِرَا﴾ لا ريب في ذاك ولا شك، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢٢)، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢٣). ﴿فَعَّالُ كُلِّ أَمْرِهِ﴾ كل مشيئته. ﴿بِلَا مِرَا﴾ ريب، ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(٢٤) لا يخرج عن فعله حركة ولا سكون، ولا ما كان ويكون، وهذه صفة الفعل المعبر عنها بالتكوين، وهي قديمة عند الماتريدية لا الأشاعرة، وهذا ما يجب له تعالى ويجوز.

ويستحيل عليه ضده للإخلال ومنافاة الكمال، ومما يجوز في حقه تعالى كل حسن، ومنه أنه:

أَرْسَلَ خَيْرَ الخَلْقِ طَهَ المُصْطَفَى   لِــكُلِّ شَيْءٍ ثُــمَّ نَبَّــا الشُّــرَفَا

﴿أَرْسَلَ﴾ برسالته ﴿خَيْرَ﴾ أفضل وأشرف ﴿الْخَلْقِ﴾ كل ما سواه، ﴿طَهَ﴾ اسم نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك ﴿الْمُصْطَفَى﴾ أي صفو الصفو والصفا، وكونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق بالإجماع، والخلاف في أفضلية الأنبياء والملائكة لا فيه، ولا عبرة لمخالفة

(٢٢) سورة الرعد: الآية ١٦.
(٢٣) سورة الصافات: الآية ٩٦.
(٢٤) سورة هود: الآية ١٠٧.

الزمخشري، وهذا هو الحق، لا ما ذهب إليه بعض الحنفيَّة من أفضلية آدم للأبوة أو السكوت.

ففي الحديث: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»(٢٥)، والمراد الجنس الآدمي لاشتماله على أولي العزم الذين هم أفضل من آدم، واشتماله على من هم خير العالمين أجمع، المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٢٦).

(لِكُلِّ شَيْءٍ) من إنس جن وحيوان وجماد وملك، وإن خصص الخواص العالمين، إذ لو خصصوا لكانوا بلا واسطة، وما ثم بلاها، إذ ما عداها من فناها، ولا يصل ما إلى الأغصان والأوراق إلا من الساق، تسقى بماء واحد. وِلَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ»(٢٧). أي كل أسود وما يقابله. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٢٨)، أي ما قضينا بإرسالك سابقًا إلا لنجعلك رحمة للعالمين لاحقًا، فهو المدد لكل شيء حسًّا ومعنًى، فهو نبي الأنبياء ورسول الرسل، وتحقيق ذلك في "كنز الفوائد" و"الجوهرة النقطة" وغيرها من رسائلها. (ثُمَّ نَبَّا) أي جعل ثبوته في

(٢٥) رواه البخاري في "صحيحه" بلفظ آخر. أحمد في "مسنده". وابن أبي شيبة في "مصنفه". وابن ماجه في "سننه". والترمذي في "سننه". وابن أبي عاصم في "السنة". وأبو يعلى في "مسنده". والحكيم في "النوادر". وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "الأوسط". والحاكم في "المستدرك".

(٢٦) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٢٧) رواه أحمد في "مسنده". وابن أبي شيبة في "مصنفه". والدارمي في "مصنفه". والبزار في "مسنده". والحكيم في "النوادر". والطبراني في "الأوسط".

(٢٨) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(الشُّـرَفَا) أي أشـراف النـاس وأفاضـلهم، حتـى أن سـائر الأوليـاء لا يعدلون بنبي واحد ولو ارتقوا، مهما ارتقوا لن يصلوا بداياتهم، وإنما كانت نبوتهم متأخرة عنه بحسب آبائهم لما ثبت من تقدم نبوته كما في الأحاديث لعلو مقامه، فتميز بإكرامه.

حَلَّاهُـــمُ بِأَكْمَـــلِ الكَمَـــالِ   وَقَـدَّسَ الـكُلَّ عَـنِ المُحَـالِ

(حَلَّاهُمُ) بالإشباع من التحلية. (بِأَكْمَلِ الكَمَالِ) اللائق بالمخلوق الظاهري والباطني الحسي والمعنوي، فجعلهـم أكمـل الناس خَلْقًا وخُلُقًا، صديقين، أمناء، مبلغين، فطنين، ذكور. وهذا واجب لهـم لأنه من الكمال.

(وَقَدَّسَ) نـزَّه (الكُلَّ عَنِ المُحَالِ) أي النقص الحسي والمعنوي، فما فيهم أعمى ولا مُتقذِّر ببلاء، ولا مرتكـب خطأ ولـو صغيرة، لا قبـل النبـوة ولا بعـدها. ومـا ورد فـي شـأنهم ممـا يـوهم شـيئًا فـذاك بحسـب مقـامهم الشـريف، إِذْ حَسَـنَاتُ الْأَبْـرَارِ سَـيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ(٢٩). فوجب لهم الكمال، وعليهم النقص استحال، وجاز ما لا فيه إخلال.

---

(٢٩) وهو من كلام أبي سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية.

وَأَخْتَارَ أَصْحَابًا وَآلاً شُرَفَا ثُمَّ أُولِي عِلْمٍ وَفَضْلٍ وَوَفَا

(وَاخْتَارَ أَصْحَابًا) جمع صاحب بمعنى صحابي، هو من لقيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مميزًا مؤمنًا به ومات على ذلك. وفي مقام الدعاء من كان من جنس العقلاء. وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى الْعَالَمِينَ، سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ»(٣٠). وفي المشافهة بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٣١) إزالة لكل وهم والتباس، وهل يقام الخير إلا على الأخيار، «كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ»(٣٢). فللّه درهم من أناس واليهم أفضل الناس. وعن هذا قال العلماء: فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل. وقد ذكرتُ في "الأسئلة النفسية" في هذا البحث ما يشفي الغليل، ويداوي العليل.

(وَآلاً) فيه تسعة أقوال والمراد هنا آل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم من حرمت عليهم الصدقة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣٣). وإذا اصطفى الله آل إبراهيم وآل عمران، فأولى آل كامل الحسن والإحسان، ولذا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا

(٣٠) رواه الخطيب في "تاريخه". والبزار.
(٣١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٣٢) رواه القضاعي في "مسنده". وذكره العجلوني في "كشف الخفاء": أنه عند الطبراني. وقال السيوطي: أخرجه الحاكم في "تاريخه" والديلمي والبيهقي.
(٣٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»[٣٤]. وفي الحديث: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»[٣٥]. (شُرَفَا) جمع شريف.

(ثُمَّ أُولِي عِلْمٍ) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٦]. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣٧]، وهم العلماء على التحقيق، بل أولو الأمر والتوفيق، وفي تقديم الآل عليهم وذكرهم بثم إشارة إلى أفضليتهم، ولا شك كما حقَّقتُه في "سواد العينين في شرف النسبين". (وَفَضْلٍ) شرف ما لصلاح أو ولاية. (وَوَفَا) أي تمام دين، ولم يذكر ثم هنا لأنه لا ترتيب، إذ نهاية العلماء بداية الأولياء، وليس لهم الفضل الحقيقي إلا إذا كانوا أولياء، وذلك بالصدق في العمل. وَلِذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ[٣٨] وَالشَّافِعِيُّ[٣٩] رَضِيَ

---

(٣٤) رواه أحمد في "مسنده". وابن أبي شيبة في "مصنفه". والترمذي في "سننه". والنسائي في "سننه". والحكيم في "النوادر". والطبراني في "الكبير" و"الأوسط".

(٣٥) رواه أحمد في "فضائل الصحابة". والطبراني في "الكبير" و"الأوسط". والحاكم في "المستدرك". والخطيب في "تاريخه".

(٣٦) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣٧) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣٨) هو الإمام الأعظم فقيه الملة، صاحب المذهب الحنفي، أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، قيل: إنه من أبناء فارس، ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة، ورأى سيدنا أنس بن مالك بها، ذهب والده ثابت لسيدنا علي ودعى له ولذريته بالبركة. له أربعة آلاف شيخ من التابعين، أوّل من دوّن علم الفقه، وتوفي سنة ١٥٠هـ عن سبعين سنة.

(٣٩) هو الإمام الجليل والعالم النبيل، صاحب المذهب الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس، المكي، ينتهي نسبه إلى عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، نشأ يتيمًا في حجر أمه، وتفقه في مكة ثم لزم مالكًا بالمدينة، وقرأ عليه الموطأ حفظًا، وارتحل لليمن ثم العراق، ونشر علم الحديث والسنة، وأقام مذهبه، وخرج إلى مصر ومكث بها إلى أن توفي بها سنة٢٠٤هـ.

اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ أَوْلِيَاءَ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ[٤٠]. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ جَاهِلٍ وَلَو اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ.

وَافْتَرَضَ الإِسْلَامَ بِالإِيمَانِ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنَ الرَّحْمَنِ

(وَافْتَرَضَ) أي طلب لزومًا. (الْإِسْلَامَ) من الناس، وهو الإزعان الظاهري. (بِالإِيمَانِ) بالتصديق الباطني فلابد منهما، فليس لنا مسلم غير مؤمن ولا عكس. (بِكُلِّ مَا جَاءَ) ثبت (مِنَ) عند (الرَّحْمَنِ) بوحي أو إلهام لأنبيائه عليهم السلام، فنؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره، وجميع أحكام الدين إلى يوم الدين.

وَبَيَّنَ الحَلَالَ وَالحَرَامَا وَكُلَّ فَرْضٍ قَدْ أَتَى حَرَامَا

(وَ) من ذلك أنه (بَيَّنَ الحَلَالَ) ما لا تبعة في تناوله بوجه. (وَالحَرَامَا) ما لا يحل إلا لضرورة ففي الخبر: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشَبَّهَاتٌ»[٤١] الحديث. فنسأل الله العافية من أهل الوقت، الذين هم كالنار التي لا تبقي ولا تذر، [فلتكن منهم][٤٢] على

---

(٤٠) رواه الخطيب في "الفقيه والمتفقه".

(٤١) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". وأحمد في "مسنده". وابن ماجه في "سننه". والترمذي في "سننه". والنسائي في "سننه". وأبو حنيفة في "مسنده". وابن أبي شيبة في "مصنفه". والدارمي في "مسنده". وأبو يعلى في "مسنده". وابن حبان في "صحيحه".

(٤٢) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

حذر. ﴿وَ﴾ بَيَّنَ ﴿كُلَّ فَرْضٍ قَدْ أَتَى حَرَامَا﴾ أي محترمًا، ومنه البلد الحرام والمشعر الحرام.

وَشَرَعَ الشَّرْعَ القَوِيمَ المُرْتَضَى   وَحَقَّقَ الحَقَّ الحَقِيقَ بِالرِّضَا

﴿وَشَرَعَ الشَّرْعَ﴾ لغة: البيان والإظهار، وعُرفًا: بمعنى الدين، وقد مرَّ بيانه، أي بيَّن الطريق الموصل إليه، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾[٤٣] الآية. ﴿الْقَوِيمَ﴾ المستقيم. ﴿الْمُرْتَضَى﴾ الاستقامة. ﴿وَحَقَّقَ﴾ أي زاد ثبوتًا الطريق. ﴿الْحَقَّ﴾ الحكم المطابق للواقع، والمراد الشريعة والحقيقة. ﴿الْحَقِيقَ﴾ الجدير ﴿بِالرِّضَا﴾ وتمام القبول، وكيف لا يرتضى بالصراط المستقيم، وهو الفضل العظيم القويم.

وَهَا هُمَا شَيْئَانِ وَهُوَ وَاحِدُ   مَا ثَمَّ مَثْنَى فَالمُثَنَّى فَاسِدُ

﴿وَهَا﴾ للتنبيه. ﴿هُمَا﴾ الشريعة والحقيقة. ﴿شَيْئَانِ﴾ تسمية ومعنى. ﴿وَهُوَ﴾ المجموع ﴿وَاحِدُ﴾ تلازمًا كالإيمان والإسلام، لا ينفك أحدهما عن الآخر. إذ الشريعة بلا حقيقة عاطلة، والحقيقة بلا شريعة باطلة. وَعَنْهُ قَالَ مَالِكٌ[٤٤]: مَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ، وَمَنْ تَصَوَّفَ

---

(٤٣) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٤٤) هو إمام الأئمة وإمام دار الهجرة، إمام المذهب المالكي، مالك بن أنس بن مالك، الأصبحي، ولد سنة ٩٣هـ بذي المروة بالقرب من المدينة، أخذ عن ثلثمائة تابعي، ألّف الموطأ في أربعين سنة، درّس وهو ابن سبعة عشر سنة، وامتحن في خلافة المنصور، توفي بالمدينة سنة ١٩٧هـ بالبقيع.

وَلَمْ يَتَفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ، وَمَنْ تَفَقَّهَ وَتَصَوَّفَ فَقَدْ تَحَقَّقَ[٤٥]. ولذا قلتُ في "الْحِكَمِ":

بحـــر الشـــريعة ملـــح والحلـو بحـر الحقيقـة
لا شــــيء إلا بملــــح وحلـو فهـذي الطريقـة
فـالملح مبـدي الملاحـة والحلـو أحلـى المذيقـة
فالتثنيـــة عـــين جمـــع والجمـــع فـــرد حقيقـــة

وقلتُ أيضًا:

علـــم الشـــريعة نـــار والنـــور علـــم الحقيقـــة
فـــالنور بالنـــار يجلـــى ابصـــر فهـــذي الطريقـــة

فإذا (مَا ثَمَّ) بفتح الثاء المثلثة ظرف. (مَثْنَى) اثنان. (فَالْمُثَنَّى فَاسِدُ) بزعم فاسد إذ الكل واحد، ولاعبرة بجاحد.

وَاسْلُكْ قَوِيمَ الشَّـرْعِ وَالطَّرِيقَةْ تَنَــلْ مَعَــانِي أَشْرَفِ الحَقِيقَـــةْ

(وَاسْــلُكْ قَــوِيمَ الشَّــرْعِ وَالطَّرِيقَـةْ تَنَـلْ) تعـط (مَعَـانِي أَشْـرَفِ الحَقِيقَةْ). كل من سار على الدرب وصل، مَنْ جَدَّ وَجَدَ.

تنبيهٌ: الشريعة عُرفًا هي: الطريقة المسلوكة في الدين. والطريقة: ذلك مع مراعاة الحدود والجهات. والحقيقة: هي مشاهدة الربوبيَّة بالقلب، ويُقال سرٌّ معنوي لا حد له ولا جهة، وإذا عرفتها وتلازمها

(٤٥) ذكره الملا علي القاري في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح".

علمت أن قول القائل: بأن الأولياء يخرقون الشريعة، باطل لا سند له، سوى ما يرى ويسمع من أحوال وأقوال تبدر منهم في حال سُكرهم، أو بحسب اصطلامهم أو مكاشفاتهم، وهم أعرف بحالهم، فاحذر ولا تغتر فتعثر.

الطُّرُقُ شَتَّى وَطُرُقُ اللهِ مُفْرَدَةٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادُ
لَا يُدْرَكُونَ وَلَا تُدْرَى مَقَاصِدُهُمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ رُوَّادُ
وَالنَّاسُ عَلَى غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ فَجُلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَّادُ

لَا خَيْرَ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الشَّرْعِ مَنْ لَمْ يُتَابِعْهُ فَذَاكَ البِدْعِي

وإذا علمت هذا عرفت أنه (لَا خَيْرَ إِلَّا فِي اِتِّبَاعِ الشَّرْعِ) ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[٤٦] الآية. وَقَالَ الْجُنَيْدَ[٤٧]: الطُّرُقُ مَسْدُودَةٌ إِلَّا عَلَى مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال سهل: الْوَلِيُّ مِنْ تَوَالَتْ أَفْعَالُهُ عَلَى الْمُوَافَقَةِ. وقال أعظم من أنكر عليه الشريعة من الأولياء الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي[٤٨] قُدِّسَ سِرُّهُ:

---

(٤٦) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٤٧) أبو القاسم الجنيد بْن مُحَمَّد بن الجنيد: سيد الطائفة الصوفيَّة وإمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق سنة ٢١٥هـ، كان أبوه قواريريًا، وكان هو خزازًا، وَكَانَ فقيهًا عَلَى مذهب أَبِي ثور، صحب خاله السري والحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، توفي سنة ٢٩٧هـ.

(٤٨) الشيخ الأكبر أبو عبد الله محيي الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الطائي الأندلسي الحاتمي، المعروف بابن عربي، ولد بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠ هـ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨ هـ. له تصانيف كثيرة من أشهرها: "الفتوحات المكية"، و"فصوص الحكم" وغيرها.

ما نال من جعل الشريعة جانبًا   حتى ولو بلغ السماء منارُهُ

وتمّمتُه بقولي:

بل لم يكن شيئًا إذا لم يرعها   حتى ولو فاق الوجود فعالُهُ

أفلا ترى إبليس أكثر من رعى   لله حقًّا قد هوى مشكارُهُ

وإذا علمت هذا علمت أن (مَنْ لَمْ يُتَابِعْهُ فَذَاكَ البِدْعِي) أي المبتدع الحقيقي. وقد ورد: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ عَلَيْهِ»(٤٩). وقال أبو أيوب السختياني(٥٠): مَا ازْدَادَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ اجْتِهَادًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللَّهِ بُعْدًا(٥١). وقال العلماء: كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فَكُنْ لَهُ تِلْوًا عَلَى الدَّوَامِ   تَفُزْ بِقُرْبِ المُصْطَفَى الإِمَامِ

وإذا عرفت هذا (فَكُنْ لَهُ) للشرع، (تِلْوًا) تابعًا، (عَلَى الدَّوَامِ) بالإشباع. (تَفُزْ بِقُرْبِ المُصْطَفَى الإِمَامِ) ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٥٢). وفي الخبر: «آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَقِيٍّ»(٥٣). وفيه: «إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ

---

(٤٩) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". وأحمد في "مسنده". وابن ماجه في "سننه". وأبو داود في "سننه". وأبو يعلى في "مسنده". وابن حبان في "صحيحه". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه".

(٥٠) أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان البصري السختياني، ولد سنة ٦٨هـ، وتوفي سنة ١٣١هـ، سيد فقهاء عصره، تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثابتا ثقة رُوي عنه نحو ثمانمائة حديث.

(٥١) رواه أبو نعيم في "الحلية". وابن وضاح في "البدع".

(٥٢) سورة النور: الآية ٥٢.

(٥٣) رواه الطبراني في "الأوسط". والديلمي في "الفردوس".

كَانُوا»(٥٤). وفي "الصحيحين": «إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانًا لَيْس بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»(٥٥).

وَتَشْهَدِ الحَقَّ عَلَى الحَقِيقَةْ   وَتَرْتَقِي مَرَاقِي الطَّرِيقَةْ

‹وَتَشْهَدِ الحَقَّ› سبحانه، أو ما هو مطابق للواقع. ‹عَلَى الحَقِيقَةْ› على الوضع الحقيقي في نفس الأمر. ‹وَتَرْتَقِي› تصعد ‹مَرَاقِي› مصاعد ‹الطَّرِيقَةْ› من أنوار وأسرار وكشوف وأحوال ومقامات، تكل عنها العقول، وتفجر النقول.

لَكِنْ أَسَاسُ الأَمْرِ ثُمَّ الرَّاسُ   الصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالأَنْفَاسُ

‹لَكِنْ أَسَاسُ› الأصل الذي يُبنى عليه ‹الأَمْر› كله، ‹ثُمَّ الرَّاسُ› أعلاه وهامته. ‹الصِّدْقُ› لغة: ضد الكذب. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: هُوَ اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَبِهِ تَحَقُّقُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ، حتى إن الإخلاص يفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. فكل صادق مخلص ولا عكس. فالصدق إرداة اللَّه بكل طاعة مع الحضور بخلاف الإخلاص، فهو الأساس والهامة والرأس. وَلِذَا قَالَ ذُو النُّونِ(٥٦) قُدِّسَ سِرُّهُ: إِنَّ لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ سَيْفًا مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا

---

(٥٤) رواه البخاري في "الأدب المفرد". والبزار في "مسنده". والطبراني في "الكبير". والحاكم في "المستدرك". والديلمي في "الفردوس".

(٥٥) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". وأحمد في "مسنده".

(٥٦) هو أبو الفيض ذو النون المصري الأنصاري، مولاهم، النوبي الأصل، اسمه ثوبان بن إبراهيم، من قرية إخميم صعيد مصر، شيخ الديار المصرية، ولد أواخر أيام المنصور، وهو أحد رواة موطأ مالك، وكان زاهدًا حكيمًا فاضلاً واعظًا فصيحًا. توفي سنة ٢٤٥هـ بالقرافة الصغرى.

قَطَعَهُ أَلَا وَهُوَ الصِّدْقُ. وما أحسن ثناء اللَّه على أهله بقوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾[٥٧] الآية. والأحاديث فيه كثيرة.

(وَالإِخْلَاصُ) إرادة وجه اللَّه تعالى بكل طاعة ولو بلا حضور، وهذا من الأساس والرأس، وضده الرياء مبطل الأعمال. وفي القرآن: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ﴾[٥٨] الآية. وفي الخبر القدسي: «الإِخْلاصُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي، لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ»[٥٩].

(وَالأَنْفَاسُ) أي مراعاتها. قال الشيخ العارف السيد أحمد الرفاعي[٦٠] قُدِّس سِرُّهُ: شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر، فلا يضع في كل نفس إلا أعز ما يصلح به. وقال سهلٌ[٦١] قُدِّسَ سِرُّهُ: الْأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ، فَكُلُّ نَفَسٍ يَخْرُجُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَهِيَ مَيِّتٌ. وقال ابن عطاء اللَّه[٦٢] عليه رحمة اللَّه: حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما

(٥٧) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٥٨) سورة التوبة: الآية ١٠٩.

(٥٩) ذكره ابن الجوزي في "المسلسلات". والقشيري في "رسالته". والقزويني في "مسلسلاته".

(٦٠) هو أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد، الرفاعي المغربي الحسيني، ولد سنة ٥٠٠هـ، وهو شيخ ومؤسس الطريقة الرفاعية، وكان شافعيًا، وتوفي سنة ٥٧٨هـ.

(٦١) أبو محمد سهل بن عبد اللَّه بن يونس، التّستري، ولد بمدينة تستر بخوزستان في سنة ٢٠٠هـ، وأقام بالبصرة حتى وفاته، نسبت إليه كثير من المؤلفات قيل أنها نقلها تلامذته عنه. توفي سنة ٢٨٣هـ.

(٦٢) تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء اللَّه السكندري الجذامي المالكي الشاذلي، ولد بالأسكندرية سنة ٦٥٨هـ، وتوفي سنة ٧٠٩هـ. من أشهر مصنفاته "الحكم العطائية"، و"التنوير في إسقاط التدبير" و"لطائف المنن" و"مفتاح الفلاح" و"تاج العروس" وغيرها.

من وقت يرد إلا ولله عليك حق جديد وأمر أكيد، فكيف فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه؟. وقال أيضًا: ما من نَفَس تبديه إلا وله فيك قدر يمضيه.

والأنفاس جمع نَفَس بالتحريك، وهو الهواء الصاعد من الجوف للتنفس. وعدَّها بعضهم فقال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، في كل ساعة ألف نفس، وفي كل نفس طرفتان، وفي كل طرفة خطرتان في القلب، إما طاعة أو معصية.

وَاجْهَدْ وَجَاهِدْ صَاحِ فَالمُجَاهَدَةْ   مُثْمِرَةٌ لِلوَصْلِ وَالمُشَاهَدَةْ

وإذا عرفت الأساس فشمِّر (وَاجْهَدْ) ابذل جهدك أي طاقتك. (وَجَاهِدْ) جهادًا أكبر وأصغر. ولله در سيدنا عمر(٦٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حيث قال في ذلك:

لَمْ يَبْقَ مِنْ شَرَفِ الْعُلَا   إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْحُتُوفِ
فَلَأَرْمِيَنَّ بِمُهْجَتِي   بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ

(صَاحِ) يا صاحب. (فَالمُجَاهَدَةْ) بنوعَيْها (مُثْمِرَةٌ) مُنتجة (لِلوَصْلِ) أي الدنو من حضرة عناية الله تعالى، بلا كم ولا كيف ولا أين،

(٦٣) هو أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين، أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق، عمر بن الخطاب بن نفيل، وُلد قبل البعثة بثلاثين سنة، وشهد الوقائع كلها، وُلي الخلافة عشر سنين ونصفًا، فتح فيها الفتوحات العظيمة، واستشهد سنة ٢٣هـ. ودُفن مع سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيدنا أبي بكر، توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

بإسبال جلاليب العناية والعين، ويرفع حجاب الغين، وكشف حجاب البين، وتجلي الواحد في الاثنين.

(وَالْمُشَاهَدَةْ) وجود الحق بلا تهمة، وشهود العين بلا أين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦٤]. فمن جدَّ وجد، ومن جاهد شاهد.

وَاحْذَرْ مِنَ الزَّمَانِ وَالإِخْوَانِ   وَالْزَمْ أَخِلَاء مَعْشَرِ الدَّيَّانِ

(وَاحْذَرْ مِنَ الزَّمَانِ وَالإِخْوَانِ).

ذا زمان كأهله   [وأهله كما ترى][٦٥]

وسيرهم كسيره   وسيرهم إلى ورى

وهذا ما مرَّ قديمًا. وقلتُ في دهرنا وأهله:

دهرنا شأنه عجيب   ونحن يا صاح منه أعجب

الكل قد صار في اعوجاج   فما لذي اللب كيف تعجب

وهذا الزمان الذي قال فيه الحبر[٦٦] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُعْرَجُ فِيهِ بِعُقُولِهِمْ، حَتَّى لَا تَجِدُ فِيهِ أَحَدًا ذَا عَقْلٍ. ولقد صدق في مقاله الذي هو من من بقايا معجزات جماله. وظهر عند

(٦٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٦٥) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

(٦٦) هو ترجمان القرآن وحبر الأمة، أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من علماء الصحابة وفقهائهم الأجلاء، ولد في مكة سنة ٣ قبل الهجرة، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ. دعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل.

الممارس كالشمس، حتى أن كل أحد لا يسعى إلا فيما لا منفعة فيه أو فيه ضرر، ولو نصحته مرارًا لا يفيد مع ظهور المضرة له واعترافه. ولقد جربته في أخيار الزمان وعقلائه فضلاً عن الله. فنسأل الله أن يسرع بنا إليه على أحسن حال.

(وَالْزَمْ أَخِلَاء) جمع خل بمعنى المحب. (مَعْشَرَ) حزب (الدَّيَّانِ) ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(٦٧). «وَهُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ»(٦٨)، وإن اختل بالزمان نفيسهم وأنيسهم. ففي الحديث: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»(٦٩). وقد قيل:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

وَكُنْ تَقِيًّا سَمِحًا سَخِيًّا ... وَصَافِي السِّرَّ وَكُنْ زَكِيًّا

(وَكُنْ تَقِيًّا) الآيات والأحاديث في التقوى أكبر من أن تقوى، بل ويرد: «أَنَّهَا رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ»(٧٠). ويكفي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٧١). وهي ثلاث درجات: اجتناب محرمات، واتقاء شبهات، وتجنب ما سوى مولى الإرادات، للعوام والخواص وأخصهم.

---

(٦٧) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٦٨) رواه البخاري في "صحيحه". وأحمد في "مسنده". والترمذي. وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "الدعاء". والبزار في "مسنده". وأبو الشيخ في "العظمة". وأبو نعيم في "الحلية".

(٦٩) رواه أحمد في "مسنده". وأبو داود الطيالسي في "مسنده". والخرائطي في "مكارم الأخلاق". والحاكم في "المستدرك". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده".

(٧٠) رواه ابن حبان في "صحيحه". والطبراني. والبيهقي في "الشعب". وابن عساكر في "تاريخه".

(٧١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

﴿سَمِحًا﴾ سهلاً باطنًا وظاهرًا. ففي الحديث: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ»(٧٢). وفيه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ»(٧٣). ﴿سَخِيًّا﴾ جواد فيما يرضي الله تعالى. ففي الخبر: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، سَخِيٌّ يُحِبُّ السَّخَاءَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ»(٧٤). وفيه: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَالْجَاهِلُ السَّخِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ»(٧٥). وفيه: «السَّخَاءُ خُلُقُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ»(٧٦).

﴿وَصَافِي﴾ خالص ﴿السِّرَّ﴾ نظيف الباطن سليم الصدر على كل الخلق. «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ، كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ»(٧٧). وفي الحديث: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَحَاقَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(٧٨).

---

(٧٢) رواه أحمد في "مسنده". والطبراني في "الكبير". والخطيب في "تاريخه".
(٧٣) رواه الترمذي في "سننه". وأبو يعلى في "مسنده". والحاكم في "المستدرك".
(٧٤) قال السيوطي في "الجامع الصغير": رواه ابن عدي.
(٧٥) رواه الترمذي في "سننه". والخرائطي في "مكارم الأخلاق". والطبراني في "الأوسط". والبيهقي في "الشعب".
(٧٦) رواه الديلمي في "الفردوس". وقال السيوطي: رواه أبو الشيخ وابن النجار.
(٧٧) رواه أبو داود. والخرائطي في "مكارم الأخلاق". وابن السني في "عمل اليوم والليلة". والديلمي.
(٧٨) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". ومالك في "الموطأ". وأحمد في "مسنده". وأبو داود الطيالسي في "مسنده". وعبد الرزّاق في "مصنفه". وابن أبي شيبة في "مصنفه". وابن ماجه في "سننه". وأبو داود في "سننه". والترمذي في "سننه". والبزّار في "مسنده". وأبو يعلى في "مسنده". وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "الكبير" و"الأوسط" و"الصغير". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه" و"الشعب".

وفي الآخر: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٧٩).

وفي الآخر: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيْدِهِ»(٨٠).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من نال منّي أو علقت بذمّته   أبرأتـــه لله شـــاكرًا منّتـــه

أأرى معوّق مؤمن يوم الجزا   أو أن أسوء مُحمَّدًا في أمّته

وفي كلام القطب الرباني والغوث الصمداني، السيد عبد القادر الكيلاني(٨١) قُدِّسَ سِرُّهُ: إخواني ما وصلت إلى الله بكثرة صلاة ولا صوم، ولكن بالسخاء وسلامة الصدر. أو كما قال.

﴿وَكُنْ زَكِيًا﴾ طاهرًا باطنًا وظاهرًا. ففي الحديث: «أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٨٢).

---

(٧٩) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". وأحمد في "مسنده". والدارمي في "مسنده". والبزّار في "مسنده". والترمذي في "سننه". والنسائي في "سننه". وأبو يعلى في "مسنده". والطبراني في "الأوسط". وابن حبان في "صحيحه".

(٨٠) رواه البخاري في "صحيحه". ومسلم في "صحيحه". وأحمد في "مسنده". وأبو داود الطيالسي في "مسنده". وعبد الرزّاق في "مصنفه". وابن أبي شيبة في "مصنفه". والدارمي في "مسنده". وأبو داود في "سننه". والترمذي في "سننه". والبزّار في "مسنده". والنسائي في "سننه". وأبو يعلى في "مسنده". وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "الكبير" و"الأوسط". والحاكم في "المستدرك". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه" و"الشعب". والخطيب في "تاريخه".

(٨١) هو محيي الدين أبي صالح عبد القادر بن موسى عبد الله، الحسني، ولد بجيلان أو كيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ. انتقل إلى بغداد شاباً فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد. وبرع في الوعظ والتربية وإرشاد الخلق، وهو شيخ ومؤسس الطريقة القادرية، وتوفي ببغداد سنة ٥٦١هـ. من مؤلفاته: "الغنية" و"الفتح الرباني" و"فتوح الغيب" و"الفيوضات الإلهية".

(٨٢) رواه البخاري في "الأدب المفرد". وأحمد. وابن ماجه في "الطب". وأبو داود الطيالسي. وابن أبي شيبة. وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني". والحميدي. وأبو داود في "الطب". والترمذي في "الطب". وابن حبان في "صحيحه". والطبراني في "الصغير" و"الكبير". والبيهقي. والحاكم. والخطيب في "تاريخه".

وَانْــوِ بِكُــلِّ الكَائِنَــاتِ خَــيْرًا   وَكُـــفَّ شَرًّا وَأَذًى وَضَـــيْرًا

﴿وَانْوِ بِكُلِّ الكَائِنَاتِ خَيْرًا﴾ في الحديث: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[٨٣]. وفيه: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»[٨٤]. وفيه: «النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ تُدْخِلُ صَاحِبَهَا الْجَنَّةَ»[٨٥]. وفيه: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[٨٦].

وإذا لوحظ الصانع [في صنعته][٨٧] وجب رعاية كل خليقته، وعن هذا قالوا:

وكل الليالي ليلة القدر فاعتقد   وكل فتى تلقاه فاعتقد الخضرا

وقالوا:

لَا تَحْقِرَنَّ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَلَّهُ   وَلِـيُّ إِلَـهِ الْعَـالَمِينَ وَلَا تَـدْرِي

فَإِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ خَافٍ عَنِ الْوَرَى   كَمَا خَفِيَتْ فِي عِلْمِهِمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ

﴿وَكُفَّ شَرًّا﴾ لك عن وغيرك. ﴿وَأَذًى﴾ كذلك. ﴿وَضَيْرًا﴾ ضرًا كذلك، إذ الكل حرام أو مكروه بحسبه، فلك ما كسبت وعليك ما

---

(٨٣) رواه الطبراني في "الكبير". والخرائطي في "مكارم الأخلاق". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه" و"الشعب". والديلمي في "الفردوس".

(٨٤) رواه الطبراني في "الكبير". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "الشعب". والخطيب في "تاريخه". والديلمي في "الفردوس".

(٨٥) رواه الديلمي في "الفردوس".

(٨٦) رواه البخاري في "صحيحه". والحميدي في "مسنده". وابن ماجه في "سننه". وأبو داود في "سننه". والطبراني في "الأوسط". وأبو نعيم في "الحلية". والقضاعي في "مسنده". والبيهقي في "سننه" و"دلائل النبوة". والخطيب في "تاريخه".

(٨٧) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

اكتسبت، فاعمل ما شئت فإنك مجازى به، وإياك والضرر فإنه من الخطر. وما أحسن ما قيل:

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ اللَّهَ ذُو كَرَمٍ　　وَمَا عَلَيكَ إِذَا أَذْنَبْتَ مِنْ بَأْسٍ
إِلَّا اثْنَتَـيْنِ فَـلَا تَقْرَبْهُمَـا أَبَـدًا　　الشِّـرْكُ بِـاللَّهِ وَالإِضْـرَارُ بِالنَّـاسِ

وَاجْعَلْ مَحَطَّ الرَّحْلِ وَالمَقَاصِـدِ　　حَظِيرَةَ القُدْسِ وَعَيْنَ المُشَـاهَدِ

﴿وَاجْعَـلْ مَحَـطَّ الرَّحْـلِ﴾ أي منتهـى سـيرك فـي شـأنك وأمـرك. ﴿وَالمَقَاصِدِ﴾ أي غايتها. ﴿حَظِيرَةَ القُدْسِ﴾ أي حضرته تعالى، ﴿وَإِلَـى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٨٨]، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٨٩]، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾[٩٠]، ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[٩١]، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٩٢]. ﴿وَعَيْنَ المُشَاهَدِ﴾ أي ذاته تعالى، فالصادق لا يصرف أنفاسه إلا فيه، ولا يضرب أخماسه وأسداسه إلا في تلافيه، فمحك الرجال محط الرحال، وبالنهاية تعرف البداية.

وَاشْـهَدْ إِلَهًـا عَمَّـمَ الوُجُـودَا　　وَلاَ تَـرَى لِغَـيْرِهِ وُجُـودَا

﴿وَاشْـهَدْ إِلَهًا﴾ واحدًا معبودًا ﴿عَمَّمَ﴾ أي عمَّر ﴿الوُجُودَا﴾ فكَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وهذا كلام على وحدة

---

(٨٨) سورة آل عمران: الآية ٢٨.
(٨٩) سورة البقرة: الآية ٢١٠.
(٩٠) سورة غافر: الآية ٤٣.
(٩١) سورة الأنعام: الآية ٩١.
(٩٢) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

الوجود، وكل أحد بها ممدود، في بحرها مفقود، ولا ينكرها إلا جلمود. وقد حققتها في أماكن من تواليفي.

(وَلاَ تَرَى لِغَيْرِهِ وُجُودَا) أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(٩٣).

مُذْ عَرفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرَ غَيْرًا   وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا ممْنُوعُ

يا عجبًا كيف يزاحم الوجود العدم؟، أم كيف يثبت الحادث مع من له القدم؟!. واعلم أنه وإن كان للغير وجود، فهو وهمي خيالي نسبي بوجود خالقه، والحقيقي له تعالى فقط.

فَاشْتَقْ لَهُ يَا صَاحِ فِي الأَنْفَاسِ   وَاطْرَحْ لِذِي الأَخْمَاسِ وَالأَسْدَاسِ

وإذا عرفت إله الوجود المطلق، ذا الكمال المحقق، فلا تجعل همك إلا هو، (فَاشْتَقْ لَهُ يَا صَاح فِي الأَنْفَاسِ).

وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ   عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

(وَاطْرَحْ لِذِي الأَخْمَاسِ وَالأَسْدَاسِ) فلا تتدبر إلا له، ولا تتفكر إلا فيما له.

قَالَ لِي حسنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى   بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَا

والأخماس جمع خمس وهو الحواس الخمس الظاهرة والباطنة، نظمها بعضهم في بيتين فقال:

---

(٩٣) سورة الرحمن: الآية ٢٦.

وَسَــمْعٌ ثُــمَّ إِبْصَــارٌ وَشَــمٌّ   وَذَوْقٌ ثُـمَّ خَامِسُهُنَّ لَمْـسٌ
خَيَـالٌ ثُـمَّ وَهْـمٌ ثُـمَّ فِكْـرٌ   وَذِكْرٌ ثُمَّ حِفْظٌ فَهِيَ خَمْسٌ

وجمعها وإن هي خمستان لأن أقل الجمع اثنان. والمراد بالأسداس الجهات الست وهي: أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت.

وَلَازِمِ الذِّكْــرَ مَــعَ المَــذْكُورِ   وَغِـبْ عَـنِ الجِنَـانِ وَالقُصُـورِ

(وَلَازِمِ الـذِّكْرَ) لله، فَإِنَّ «مَـنْ أَحَـبَّ شَـيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ»[٩٤] كما ورد. وورد: «عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكْرِ اللهِ، وَعَلامَةُ بُغْضِ اللهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللهِ»[٩٥]. وقد ورد في فضل الذكر ما لا يحمله سفر، وأحسنه ما ذكرته في "جواذب القلوب". (مَعَ) شهود الله (الْمَذْكُورِ) فالمريد الصادق هو الرامي [بإرادته][٩٦] إلى الله. (وَغِبْ عَنِ) شهود (الْجِنَانِ وَالْقُصُورِ) وعن قصدها، فإن العمل لغير الله شرك خفي. [فكما قيل فيهم][٩٧]:

فمـا مقصـودهم جنـات عـدن   ولا الحور الحسان ولا الخياما
سوى نظر الجليل فهو مناهم   وهـذا مقصـد القـوم الكرامـا

(٩٤) رواه أبو الدنيا في "الزهد". والبيهقي في "الشعب". والديلمي في "الفردوس".
(٩٥) رواه البيهقي في "الشعب". قال السيوطي في "الكبير": ورواه عنه الحاكم والديلمي.
(٩٦) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.
(٩٧) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

وقال أبو يزيد[٩٨] قُدّس سِرُّهُ: إِنَّ لِلّهِ عِبَادًا لَوْ حَجَبَهُمْ فِي الْجَنَّةِ عَنْ رُؤْيَتِهِ، لَاسْتَغَاثُوا مِنَ الْجَنَّةِ كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ[٩٩].

وَلَمْ تَصِلْ لِهَذِهِ المَعَانِي   إِلَّا بِشَيْخٍ كَامِلٍ مُعَانِي

(وَلَمْ تَصِلْ لِهَذِهِ المَعَانِي) المعالي (إِلَّا بِشَيْخٍ) مُرشد (كَامِلٍ) مكمّل (مُعَانِي) مُجرّب مُمارس، عارف بالداء والدواء.

مُهَذَّبٍ بِظَاهِرٍ وَبَاطِنْ   مُؤَدَّبِ التَّحْرِيكِ وَالسَّوَاكِنْ

(مُهَذَّبٍ) اسم فاعل ومفعول. (بِظَاهِرٍ) من أقواله وأفعاله. (وَبَاطِنْ) من أحواله. (مُؤَدَّبِ) مثله. (التَّحْرِيكِ وَالسَّوَاكِنْ) الظاهري والباطني. فإن من لا شيخ له فالشيطان شيخه. والشجرة إذا نبتت بنفسها لا تثمر، وإن أثمرت لا حلاوة فيها، كذا جرت سُنّة الله في خلقه، ولذا بعث أنبياءه ورسله وعلماءه وأولياءه، وهم خلفاؤه القائمون بوظيفة التربية، التي هي شأنه تعالى، فإنه رَبُّ العالمين، ولا تكون إلا لشيخ هذا نعته، أو به سبحانه بلا واسطة بالجذب الإلهي.

---

(٩٨) هو سلطان العارفين، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، وكان جدهم شروسان مجوسيًا، ولد سنة ١٨٨هـ ببلدة بسطام بين خراسان والعراق، توفي سنة ٢٦١هـ عن ثلاث وتسعين سنة. روى عن سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه.

(٩٩) ذكره الكلاباذي في "بحر الفوائد". وأبو القاسم القشيري في "رسالته".

وَذَا بِـــذَيَّاكَ الزَّمَـــانِ الأَنْـــوَرِ   أَعَـــزُّ مِـــنْ كِبْرِيـــتِ سِرٍّ أَحْمَـــرِ

﴿وَذَا﴾ أي الشيخ المنعوت ﴿بِذَيَّاكَ﴾ بذاك ﴿الزَّمَانِ﴾ السابق ﴿الْأَنْوَرِ﴾ أهله المنورين.

بِسُكَّانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

﴿أَعَزُّ﴾ أندر ﴿مِنْ كِبْرِيتِ سِرٍّ أَحْمَرِ﴾ فإن الكبريت الأحمر يحكى ولا ينظر إلا لأقل قليل. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(١٠٠). وما حسن شيء إلا وعزّ، تفكر في يتيمة العقد ويتيمة الدهر.

فَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الأَغْبَرِ   يَنَـــالُهُ مُخَـــالِطٌ وَمُفْـــتَرِي

﴿فَكَيْفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الأَغْبَرِ﴾ الذي أجل مقاصد أهله الدنيا، التي هي «رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»(١٠١)، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(١٠٢). نعوذ بالله منا حيث كنا. وما أحسن قولي في بعض المنفرجات:

تَبًّـــا لِعِبَـــادٍ قَـــدْ عَبَـــدُوا   صَـنَمَ الأَهْـوَاءِ عَلَـى عِـوَجِ
فَالـــدُّنْيَا الـــدُّنْيَا دِيـــنُهُمُ   وَاللَّهُ وَأَحْمَـــدُ فِـــي الهَـــيَجِ

﴿يَنَالُهُ﴾ يدركه إما ﴿مُخَالِطٌ﴾ في أفعاله. ﴿وَ﴾ إما ﴿مُفْتَرِي﴾ بأقواله وأحواله. فقد مضى الصدق وأهله، وغدى الدهر وفضله.

---

(١٠٠) سورة سبأ: الآية ١٣.
(١٠١) رواه أبو الدنيا في "ذم الدنيا". وأبو نعيم في "الحلية". والبيهقي في "الشعب" و"الزهد".
(١٠٢) سورة فاطر: الآية ١٤.

لَكِنْ جَرَتْ عَادَاتُ رَبٍّ قَادِرٍ   بِالصِّدْقِ يَحْظَى صَاغِرٌ بِكَابِرِ

﴿لَكِنْ﴾ استدراك، ﴿جَرَتْ عَادَاتُ رَبٍّ قَادِرٍ﴾ سبحانه. ﴿بِالصِّدْقِ﴾ بأنه إذا صدق المريد ﴿يَحْظَى﴾ بشيخ مراد، إما بالطلب أو له يستحب. ﴿صَاغِرٌ بِكَابِرِ﴾ من أي جنس كان، فمن جدَّ وجد، ومن صدق نال، وإذا كان الشيخ عزيزًا فكيف الحال؟!.

بَلَى لَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُطْلَقًا   مَوْلَى الشُّيُوخِ أَحْمَدُ حَاوِي التُّقَى

قال: ﴿بَلَى لَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مُطْلَقًا﴾ مقدم ومؤخر. ﴿مَوْلَى الشُّيُوخِ﴾ سيدهم. ﴿أَحْمَدُ حَاوِي التُّقَى﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَالْزَمْهُ مَهْمَا رُمْتَ لِلْوُصُولِ   فَإِنَّ فِيهِ غَايَةَ الْمَأْمُولِ

وإذا كان هو الشيخ الحاضر في كل زمان ومكان ﴿فَالْزَمْهُ مَهْمَا رُمْتَ لِلْوُصُولِ﴾ أي لازم حضوره وشهوده بالأدب الظاهر والباطن، عند كل متحرك وساكن. ﴿فَإِنَّ فِيهِ﴾ في لزومه ﴿غَايَةَ الْمَأْمُولِ﴾ من صعود ونزول [وسير](١٠٣) ووصول.

وَبَعْدَ هَذَا فَاسْتَقِمْ لِلْمَوْتِ   وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيطِ ثُمَّ الْفَوْتِ

وإذا لزمت ووصلت وعلمت ﴿وَبَعْدَ هَذَا فَاسْتَقِمْ لِلْمَوْتِ﴾ أي كن على الاستقامة، التي كل ذرة منها خير من ألف كرامة، وهي إقامة الأقوال والأفعال والأحوال على مراد ذي الجلال، ولا يكون

---

(١٠٣) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

ذلك إلا بفضل الله ومَنِّه. وما من أحد من الأكابر إلا ويستغيث الله في طلبها في كل آت وغابر، فإنها المقام الأعلى والمنهل الأحلى. رزقنا الله ذلك بمحض ما هنالك. وهي أصعب من ثبوت أقدام الرجال على الصلد الزلال.

وَلِذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»(١٠٤)، للأمر بالاستقامة فيهن، كما روي عنه ذلك منامًا، وهي معنى قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(١٠٥).

وإذا استقمت فدم (وَاحْذَرْ مِنَ التَّفْرِيطِ) والإفراط فالتفريط توريط، والإفراد أغلاط.

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً   مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ ومِنْ شِبَعٍ   فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

(ثُمَّ) احذر من (الفَوْتِ) فَلَوْ أَقْبَلَ صَادِقٌ عَلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ فَاتَهُ لَحْظَةً، كَانَ مَا فَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَهُ، كَمَا قَالَهُ الْجُنَيْدُ قُدِّسَ سِرُّهُ. وقد حقّقتُ هذا الكلام في أماكن والسلام.

(١٠٤) رواه عبد الرزّاق في "مصنفه". وسعيد بن منصور في "سننه". والترمذي في "سننه". والبزار في "مسنده". وأبو يعلى في "مسنده". والحكيم في "نوادر الأصول". والطبراني في "الكبير". والحاكم في "المستدرك". والبيهقي في "دلائل النبوة". والخطيب في "تاريخه".

(١٠٥) سورة الحجر: الآية ٩٩.

وَاسْــأَلْ دَوَامًــا رَبَّــكَ السَّــلَامَةْ   مِــنَ الوَبَــا وَالخِــزْيِ وَالنَّدَامَــةْ

وإذا دمت على الاستقامة، فاترك الملامة، ﴿وَاسْأَلْ دَوَامًا رَبَّكَ السَّلَامَةْ﴾ باطنًا وظاهرًا. ﴿مِنَ الوَبَا﴾ في الأشباح والأرواح. ﴿وَالخِزْيِ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿وَالنَّدَامَةْ﴾ على ما كان ويكون، فإنه لا اعتماد إلا على فضل الجوّاد، كما قلتُ نظمًا:

لو كان سعد الورى بالعلم والعمل   لكان إبليس أحرى يا أخا الجدل
إن السعادة فضل من إلهك لا   بالمال والحال أو بالعلم والعمل
فابرأ إلى اللَّه من علم ومن عمل   والجأ إلى اللَّه في الأنفاس وامتثل

وَقُــلْ إِلَــهِي مِسْــكُكَ الخِتَــامُ   ثُــمَّ الصَّــلَاَةُ بَعْــدُ وَالسَّــلَامُ

وإذا كان كذلك فالجأ ﴿وَقُلْ﴾ مُكثرًا: ﴿إِلَهِي مِسْكُكَ الخِتَامُ﴾ أي ختامك المسك الحسن، على الإسلام والإيمان والإحسان المستحسن. وقد وضعتُ رسالة في موجباته سميتها: "البشائر الحاتمة في أسباب حسن الخاتمة"، فعليك بها إن ترمها.

﴿ثُمَّ الصَّلَاةُ بَعْدُ﴾ الوصية. ﴿وَالسَّلَامُ﴾.

عَلَى النَّـــبِيِّ المُصْــطَفَى مُحَمَّـــدِ   وَآلِهِ وَصَـــحْبِهِ وَالمُهْتَـــدِي

مَـــا لَاحَ بَــرْقٌ أَوْ سَرَى نَسِـــيمُ   أَوْ غَنَّـــتِ الــوُرْقُ وَحَـــنَّ رِيـــمُ

﴿مَا لَاحَ بَرْقٌ﴾ حسي أو معنوي. ﴿أَوْ سَرَى نَسِيمُ﴾ كذلك. ﴿أَوْ غَنَّتِ الوُرْقُ﴾ جمع ورقاء وهي الحمامة. ﴿وَحَنَّ﴾ رقّ ﴿رِيـمُ﴾ أي ظبي خالص البياض، أي محبوب لمحبه.

أَوْ مَـــا تَواصَـــوْا صَـــبْرَهُمْ وَالمَرْحَمَـــةْ   أَوْ مَا عَفَى الغَفَّارُ كَمْ مِنْ مَظْلَمَةْ

﴿أَوْ مَا تَواصَوْا﴾ العباد ﴿صَبْرَهُمْ﴾ بصبرهم ﴿وَالمَرْحَمَةْ﴾ التراحم. ﴿أَوْ مَا عَفَى الغَفَّارُ كَمْ مِنْ مَظْلَمَةْ﴾ ظلمناها أنفسنا وغيرنا، والمُراد في الكل دوم الصلاة والسلام منه على سيد الآنام إلى أبد الأبد، لأنه هذه الأشياء [كثيرة العدد][١٠٦].

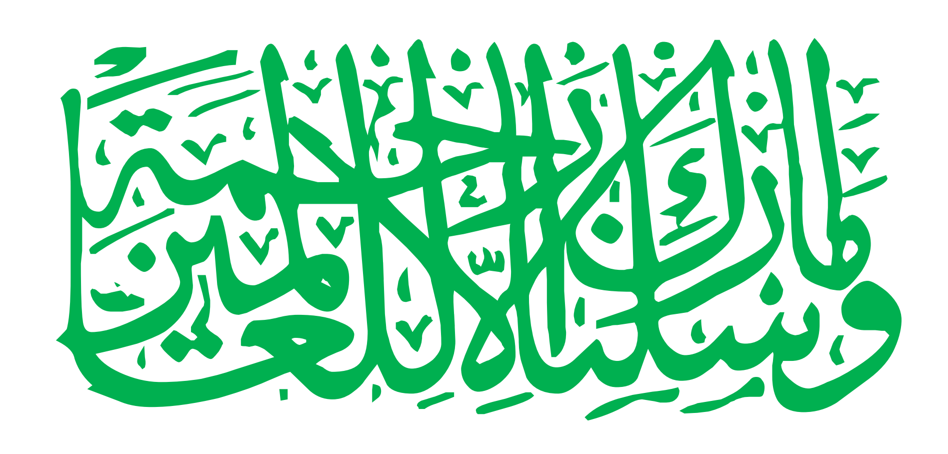
هذا، وقد تمّت التعليقة المُترجمة بـ"مجالي الوصول لمراقي الوصول إلى معاني الرسول" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد جاءتا على اسميْهِما، فكملتا برسَمَيْهِما وذلك شروق يوم الجمعة، عشرين جمادى آخر، سنة ١١٦٥هـ. و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٧]، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

---

(١٠٦) هذا النص تقديرًا لنص مفقود، لأن المخطوطة بها بعض الثقوب.

(١٠٧) سورة الفاتحة: الآية ٢.

تمَّت النساخة من كتابة هذه النسخة المُباركة، على يد أفقر العباد إلى الجواد عبده محمد بن محمد عثمان ميرغني، كان الله لهما، وبعنايته تولاهما ونظر لهما، وجميع المسلمين، آمين آمين آمين، بجاه سيد المرسلين، آمين.


وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين